كلمة عن صاحب المذكرات والمسلسل الذى جدد شبابها

كنت أسمع عن مرتضى المراغى وأنا صغير فقد كان مديرًا للأمن العام وهو منصب بالغ الخطورة ثم وكيلا لوزارة الداخلية وفى عام ١٩٥٠ ازدادت شهرته عندما أصبح محافظا للإسكندرية واستطاع – كما فعل اللواء محمد المحجوب عندما تولى منصب محافظ الاسكندرية – أن يسلط عليها الأضواء نتيجة مجهوداته وشخصيته.. ثم فى يوم ٢٧ يناير ١٩٥٢ وهو اليوم التالى لأحد الأيام الفريدة فى القاهرة التى تعرضت للحرائق فى ذلك اليوم بشكل غير مسبوق، تولى مرتضى المراغى وزارة الداخلية.. وعلى رغم تغير رؤساء الوزارات فى الشهور التالية فقد ظل مرتضى المراغى يتولى وزارة الداخلية. وفى بعض الوزارات كان يجمع معها وزارة الحربية.. ومن هنا كانت أهميته باعتباره الوزير المفروض أن يعرف الكثير. وكان آخر وزير داخلية قبل أن يقع انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢.. بمعنى آخر أنه كان الوزير الذى كان عليه أن يعرف ما كان يجرى فى الخفاء ضد نظام الحكم أيا كان، أى بصرف النظر عن فساده أو صحته فقد كان عمله أن يحمى هذا النظام ويكشف الذين يتربصون به..

من هنا كان تقديرى الكبير له عندما زارنى فى صيف عام ١٩٨٥ فى مجلة أكتوبر وكنت وقتها أرأس دار المعارف ومجلة أكتوبر وقد سألنى إن كان يستطيع نشر مذكراته فى المجلة. ولم أتردد لحظة فى الموافقة وبدأ يرسل لى أوراق المذكرات..

لم تكن ظروف النشر فى تلك السنوات فى منتصف الثمانينات – بالنسبة للقراءة عن فترة حكم فاروق – هى نفسها الظروف الموجودة اليوم. فقد طرأت تغيرات كان من ثمرتها مسلسل «الملك فاروق» الذى كتبته الدكتورة لميس جابر بحرفية وأمانة فى عرض كثير من الوقائع، والذى كان حافزا قويا لإعادة نشر هذه المذكرات فى كتاب. وسوف يجد القارئ أن قيمة

هذا الكتـاب (مذكـرات المراغى) الذى بين أيدينا تكشـف له ولأجيال غابـت أو غُيبت عن تاريخها وركنت إلى أنه تاريخ أسود كئيب، أن هذا التاريخ لم يكن بهذه الصورة المظلمة التى جرى تسويقه بها وأن هناك فترات مضيئة ومواقف مجيدة فى خلال هذه الفترة التى اطلقت عليهـا ثورة يوليو ١٩٥٢ «العهـد البائد» فمصر الناس والزعامـات والرجال.. لهذا اختلف المزاج العام اليوم بالنسبة للقراءة عن فترة فاروق..

لقد بحثت يومها عام ١٩٨٥ عن مناسـبة أبدأ بها نشـر مذكرات مرتضى المراغى ووجدت هذه المناسـبة يوم ٢٦ يناير ١٩٨٦ الذى بدأ فيه نشـر هذه المذكرات إذ كان هذا اليوم يوافق ذكرى مرور ٣٤ سـنة على حريق القاهرة. ذلك أنه فى السـاعة الثالثة من صباح الاثنين ٢٨ يناير ٥٢ بعد ساعات من إخماد نيران حريق القاهرة فوجئ مرتضى المراغى الذى كان فى ذلك الوقت فى القاهرة بتليفون من الملك فاروق يقول له فيه: أنت إيه اللى مخليك فى اسكندرية؟ قال المراغى مستغربًا: هو جلالتك عينت حد تانى محافظا للإسكندرية؟ قال فاروق ضاحكا: مـش كده.. انت أصلك بقيت وزير داخلية هو على ماهـر ما اتصلش بيك. قال المراغى: والله مـش عارف يا مولانا مين المفروض يتصل بى فـى الحالة دى.. جلالتك ولا على ماهر.. أصل أنا لم أدخل الوزارة من قبل.

قال فاروق: زى بعضه. انزل مصر بقى علشان تحلف اليمين وهكذا أصبح مرتضى المراغى وزيرا للداخلية..

ومـن الغريب أنـه وضع اهتمامه بعد توليـه الوزارة محاولة معرفة المسـئول عن حريق القاهرة لكنه لم يجد حماسا فى مساعدته. وعلى رغم أن فاروق هو الذى اختاره وزيرًا – وكان يمكن لو طال حكم فاروق أن يعينه رئيسـا للوزارة – إلا أن المراغى – كما سيعرف من يتابع المذكرات – ركز المسـئولية عن حريق القاهرة فى اثنـين: الملك فاروق، وضباط الثورة قبل أن يقوموا بالثورة.. وكان سنده فى ذلك أن الثورة التى فتحت كثيرا من الملفات القديمة لمحاسبة المسئولين عنها لم تقترب ولم تحاول الاقتراب من ملف حريق القاهرة!

وعلى الرغم من أن الثورة حاكمت عددًا غير قليل من الوزراء السابقين بتهمة الفساد إلا إنها لم تقـترب من مرتضى المراغى إلا مؤخرًا فى عـام ١٩٦٥ وكان المراغى يعيش وقتها فى إيطاليا عندمـا اتهمه الرئيس جمال عبد الناصـر فى خطاب ألقاه بأنه – أى المراغى – كان يعد لمؤامرة لقلب نظام الحكم وأنه قام بتسـليم أحد الضباط لتنفيذ الانقلاب شـيكا بمبلغ ١٦٧ ألف جنيه و٣٥٠ مليما.. وعلى رغم أنها تبدو نكتة أن يكون الاتفاق على مؤامرة «بشـيك» وبفلوس فكة،

فإنه بناء على هذا الاتهام فى خطاب الرئيس قدم المراغى للمحاكمة وحكم عليه بالسجن ١٥ سنة ولم يستطع المراغى أن يعود إلى مصر إلا بعد وفاة جمال عبد الناصر وكانت المصادفة أن يصل إلى القاهرة بعد أن سمح له السادات بالعودة على وعد بالعفو عنه وهو ما تحقق بعد سنة.

نشرت هذه الحلقات على ٢٢ اسبوعا فى مجلة أكتوبر وكان يمكن أن يكون لها صدى واسع لكن الظروف التى تحدثت عنها والوعى المفقود عن تاريخ حكم فاروق كان مسيطرًا. اليوم يبدو أن الوعى قد عاد.. وأن الاهتمام قد أصبح كبيرا بما جرى إسقاطه عمدًا فى بئر النسيان.. ليكون الاحتفاء المناسب بصاحب هذه المذكرات الذى لقى ربه يوم ٢٨ يناير ١٩٩١.

صلاح منتصر